

ذخيرة الإخوان

في اختصار

الاستغناء بالقرآن

في تحصيل العلم والإيمان

للإمام الحافظ أبي الفرج عبدالرحمن ابن شهاب الدين البغدادي الدمشقي

الشَّهير بابن رَجَبِ الحَنْبَلِي

٧٣٦-٧٩٥ هـ

اختصره

محمد بن عمر الحضرمي

الملقب بـ (بحرق)



ذَخِيرَةُ الْإِخْوَانِ

في اختصار

الاستِغْنَاءُ بِالْقُرْآنِ

في تحصيل العلم والإيمان

تمّ تنسيق هذه المادة ومراجعتها في



ذَخِيرَةُ الْإِخْوَانِ

في اختصار

الاسْتِغْنَاءُ بِالْقُرْآنِ

في تحصيل العلم والإيمان

للإمام الحافظ أبي الفرج عبدالرحمن ابن شهاب الدين البغدادي الدمشقي

الشَّهْرِ بِابْنِ رَجَبِ الْحَبْلِيِّ

٧٣٦-٧٩٥ هـ

اختصره

محمد بن عمر الحضرمي

الملقب بـ (بحرق)

المقدمة

الحمد لله الذي مَنَّ على المؤمنين، إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّم عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْهَادِينَ الْمُهْتَدِينَ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

فإن كتاب الله تعالى هو الهدى والنور وشفاء ما في الصدور، أودعهُ مِن بَدِيعِ الحِكم ما يغني عن حِكْمَةِ كُلِّ حَكِيم، وَعَلَّمَهُ مَنْ اصْطَفَاهُ مِنْ عِبَادِهِ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ، وَشرح به الصدور، وَبَيَّنَّ به أحوال البعث والنشور، وجعله المعجزة الكبرى التي أوضح بها الدلالة،

وأقام به براهين التوحيد والرسالة، وما يجب له **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من صفات الكمال والجلال والجمال، وما يستحيل عليه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من الصاحبة والولد، وكل نقص ومحال، وذكر به وحذر وبشّر به وأندر بأحوال الأمم السالفة، وأنّ العاقبة للمتقين، والدائرة على الظالمين، وغير ذلك مما لا يحيط بعلمه إلا منزله الحكيم العليم، والله أعلم بما ينزل ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

وقد وَقَّفتُ على كتاب الفقيه البارِع المحقق عبد الرحمن بن أحمد بن رَجَب الحنبلي ^{رحمته الله} الذي سَمَّاه «الاستغناء بالقرآن في تحصيل العلم والإيمان» فوجدته كتابًا جامِعًا، وسِفرًا نافِعًا، فجرَدْتُ مقاصده في هذه الفصول الثمانية المشتملة على بضعٍ وأربعينَ حديثًا صحيحةً وحسنةً، منسوبة إلى مَنْ عزا تخريجها إليه من الأئمة؛ وهي هذه:

فصل: في ذِكْرِ أَنَّ الْعِلْمَ كُلَّهُ فِي الْقُرْآن.

فصل: في ذِكْرِ أَنَّ الْقُرْآنَ اشْتَمَلَ عَلَى مَا لَمْ يَشْتَمَلْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ السَّالِفَةِ.

فصل: في ذِكْرِ النَّهْيِ عَنِ التَّشَاغُلِ عَنِ الْقُرْآنِ بِغَيْرِهِ مِنَ الْقَصَصِ وَالْأَخْبَارِ وَغَيْرِهِمَا مِمَّا

لَا يَعِينُ عَلَى فَهْمِهِ.

فصل: في ذكرِ النَّهْي عن أن يُضْرَب كتاب الله بعُضه ببعض.

فصل: في ذكرِ النَّهْي عن معارضة السنة بما يفهم من ظاهر القرآن كما يفعله أهل الزيغ

والطغيان.

فصل: في ذكرِ النَّهْي عن تفسير القرآن لمجرد الرأي والظن من غير استناد إلى حجة.

فصل: في ذكرِ أنَّ أهل القرآن أفضل العُمَّال، وأنَّ الاشتغال به أفضل الأعمال.

فصل: في ذكرِ تحسين الصوت بالقرآن، وتأثير القرآن في قلب من أصغى إليه بقلب سليم.

وفي ضمنها من تفسير لغتها الغريبة ومعانيها المشككة، والاستشهاد بآيات من كتاب الله،

وآثار عن السلفِ جملةً صالحة، جعل اللهُ ذلك خالصاً لوجهه الكريم، ومقرَّباً من جنَّات النعيم.

فَصْلٌ

في ذكر أن العلم كله في القرآن

وفيه أربعة أحاديث:

الأول: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفَتَيْنِ»، رواه

البخاري.

الثاني: عن أبي جَحِيْفَة - بضم الجيم وفتح الحاء المهملة - رضي الله عنه قال: سَأَلْنَا عَلِيًّا رضي الله عنه

هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْءٌ بَعْدَ الْقُرْآنِ؟ قال: «لا، والذي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِلَّا فَهْمُ يُؤْتِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ»، والحديث رواه أحمد والبخاري.

قال العلماء: والمعنى أن النبي ﷺ لم يترك بعده سوى القرآن، فأما السنة فهي مفسرة له، وموضحة مراده.

ولهذا قال الإمام الشافعي: «كُلُّ مَا حَكَمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَهُوَ مِمَّا فَهِمَهُ مِنَ الْقُرْآنِ». وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بمصدق ذلك من كتاب الله تعالى».

وقال سعيد بن جبير: «قَلَّ مَا بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا وَجَدْتُ مُصَدَّاقَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى».

فتبين بهذا أن العلم كله في القرآن، وإنما السنة شارحة له.

الثالث: عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن أمتك مختلفة بعدك، فقلت: فأين المخرج يا جبريل؟ قال: كتاب الله، به يقصم الله كل جبار، من اعتصم به نجا، ومن تركه هلك، قول فصل وليس بالهزل، لا تختلقه الألسن، ولا تفني عجائبه، فيه نبا من كان قبلكم، وفصل ما بينكم، وخبر ما هو كائن بعدكم»، رواه أحمد.

الرابع: عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم،

وهو الصراط المستقيم، مَنْ ابتغى الهدى -أو قال: العلم- في غيره أضلَّه الله، وَمَنْ تركه مِنْ جبار قَصَمَهُ الله، وهو الذي لا تزيع به الأهواء، ولا يشبُّع منه العلماء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يَخْلُقُ عن كَثْرَةِ الرَّدِّ، وهو الذي لم تنته الجنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾، مَنْ قال به صدق، وَمَنْ عَمِلَ به أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ به عدل، وَمَنْ دَعَى إليه هُدًى إِلَى صراط مستقيم»، رواه الترمذي.

ومعنى «حَبْلُ الله»: سَبَبُهُ الموصول إليه.

و«لَا يَخْلُقُ»: بفتح الياء وضم اللام وفتحها.

في ذكر أنّ القرآن اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره من كتب الله السالفة

الأول: عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أُعْطِيتُ مكان التَّوْرَةِ السَّبْعَ الطُّوَالِ، وَأُعْطِيتُ مكان الإنجيلِ المِثْنِي - أو قال: المِثْنِ -، وَأُعْطِيتُ مكان الزَّبُورِ المِثْنِ - أو قال: المِثْنِي -، وَفُضِّلْتُ بِالْمُقَصَّلِ» رواه أحمد.

و«الطُّوالُ»: بضم الطاء جمع طُولِي.

الثاني: عن عتبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أَلَا أُعَلِّمُكَ سُورًا مَا أُنَزِّلَ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلَهُنَّ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، فَلَا تَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ لَيْلَةٌ إِلَّا قَرَأْتَهُنَّ فِيهَا» رواه أحمد.

و«أُعَلِّمُكَ»: بسكون العين.

الثالث: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتْ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي» رواه أحمد.

الرابع: عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أُنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ مِثْلَ أَمِّ الْقُرْآنِ»، رواه أحمد، والنسائي، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

الخامس: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: «هذا بابٌ من السماء فُتِحَ اليوم ولم يُفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض ولم ينزل قط إلا اليوم، فسلم فقال: أبشّر بنورين أوتيتهما لم يؤتتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته» رواه مسلم.

و«النقيض» -بالقاف والضاد المعجمة-: صرير الباب إذا فُتِحَ.

قال العلماء: وهذا تنبيهٌ من الله تعالى لرسوله ﷺ على فضل الفاتحة وخواتيم البقرة، أكرم الله هذا الملك أن يبشّر نبيّه بهما بعد أن نزل بهما جبريل عليه السلام في أوقاتهما، فإن الفاتحة مكيّة اتفاقاً، والبقرة مدنيّة اتفاقاً، وتوّهّم بعض العلماء أن الفاتحة نزلت مرتين.

فَصْلٌ

في ذِكْرِ النَّهْيِ عَنِ التَّشَاغُلِ عَنِ الْقُرْآنِ بِغَيْرِهِ مِنَ الْقَصَصِ وَالْأَخْبَارِ وَغَيْرِهِمَا
إِلَّا مَا كَانَ مُعِينًا عَلَى فَهْمِهِ

أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْإِشْتَغَالَ عَنِ الْقُرْآنِ وَلَوْ بِالْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ حَتَّى يَنْسَى أَوْ يَتْرَكَ بِسَبَبِ ذَلِكَ تَدْبِيرَهُ وَالتَّفَقُّهُ فِيهِ وَفَهْمَ مَعَانِيهِ وَأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ = مَذْمُومٌ، وَأَنَّ الْمَحْمُودَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ مِنَ الْإِهْتِمَامِ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ، وَالْإِشْتَغَالَ بِمَا يَعْينُ عَلَى فَهْمِ مَعَانِيهِ مِنَ التَّفْسِيرِ، وَالْحَدِيثِ، وَالْأَثَرِ، وَاسْتِنْبَاطِ الْعُلُومِ مِنْهُ؛ لَمَّا سَبَقَ أَنَّ الْعِلْمَ كُلَّهُ فِي الْقُرْآنِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، وَقَالَ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾، وَقَالَ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾، ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، وَسَبَقَ قَوْلُهُ ﷺ: «وَمَنْ ابْتَغَى الْعِلْمَ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ».

وفي الفصل ستة أحاديث:

الأول: عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، وَكِتَابُكُمْ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ أَحَدُثُ الْأَخْبَارِ، تَقْرَوْنَهُ مُحْضًا لَمْ يُشَبَّ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ اللَّهُ فِي كِتَابِكُمْ أَنَّهُمْ قَدْ غَيَّرُوا كِتَابَ اللَّهِ وَبَدَّلُوهُ، وَكُتِبُوا الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ وَقَالُوا: (هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، أَلَا يَنْهَاكُمْ الْعِلْمُ الَّذِي جَاءَكُمْ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ، لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ» رواه البخاري.

الثاني: عن جابر رضي الله عنه أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بَكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ - وفي رواية: من بعض بني قريظة - لِيَزِدَّادَ بِهِ عِلْمًا فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيِّضَاءَ نَقِيَّةً، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسَّعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي» رواه أحمد، والنسائي.

الثالث: عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن، فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحُهِ» رواه أحمد، ومسلم.

الرابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما خطب عام الفتح، وذكر حُرمة مكة، قام رجلٌ يقال له أبو شاهٍ قال: اكتبوا لي يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «اكتبوا لأبي شاه» رواه البخاري ومسلم.

الخامس: عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن أبيه قال: «كان رسول الله ﷺ قد كتب الصدقة وما فيها من نصاب المواشي، ومقدار الواجب فيها، ولم يخرجها إلى عُمّاله حتى تُوفِّي، فأخرجها أبو بكر رضي الله عنه من بعده» رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي.

قال العلماء في الجمع بين هذه الأحاديث: كان النبي ﷺ ينهى في أول الإسلام عن كتابة غير القرآن لئلا يلتبس بغيره كما دلّ عليه حديث أبي سعيد، ثم نَسَخَ ذلك بقوله وفعله ﷺ لَمَّا تَمَيَّزَ القرآن عن غيره، واشتهر وكَثُرَ حِفْظُهُ، كما دلّ عليه حديث أبي هريرة وابن عمر، فلا تعارض بين الأحاديث.

السادس: عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ الْأَرْضَ وَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَانْفَعَ اللَّهُ بِهَا نَاسًا فَشَرِبُوا وَزَرَعُوا وَسَقَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانُ؛ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَاءً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ اللَّهُ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»، رواه أحمد، والبخاري، ومسلم.

و«الكلأ»: مُحَرَّكًا، مقصور -: المرعي رطبًا ويابسًا.

و«العشب»: الرطب منه.

و«الأجاذب»: -بالجيم والdal المهملة - الصلبة.

و«فَقَّه»: بضم القاف وكسرها وفتحها.

وفي الحديث المدح والثناء لمن تفقه في الدين؛ وذلك بفهم كتاب الله وتدبر معانيه، والذم لمن أعرض عن ذلك، وقد قال الله تعالى - فيمن لم يتذكر كلامه وكلام رسوله -: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا - أي: قبل الآن - أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾.

فَصْلٌ

في ذكر النهي عن أن يضرب كتاب الله بعضه ببعض

وفيه ثلاثة أحاديث:

الأول: عن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن أبيه عن جده قال: سمع رسول الله ﷺ قوماً يتنازعون في شيء من القرآن، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بهذا؛ ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يُصدّق بعضه بعضاً، فلا تُكذّبوا بعضه ببعض، فما علمتم فقولوا، وما جهلتم فكلّوه إلى عالمه»، رواه الإمام أحمد.

الثاني: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قرأ النبي ﷺ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ﴾، فقال ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ فَهُمْ الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ فَاحْذَرُوهُمْ» رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، واللفظ له.

الثالث: عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ...﴾، وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ...﴾، الآية: «هم الخوارج»، رواه أحمد.

قال العلماء: المراد بالمُحَكَّم هنا: ما ظهر المراد منه، بما يجب اعتقاده أو يجب العمل به، وبالمُتَشَابِه: ما لا يظهر المراد منه مِمَّا وَصَفَ اللهُ به نفسه، أو وصفته به رسله، فيجب الإيمان بأنه من عند الله، وبأنَّ له معنًى لائقًا بجلال الله لا يعلمُهُ إلا الله، أو مَنْ أَطْلَعَهُ اللهُ عليه من الراسخين في العلم، كما حكى الله عنه في قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، فعلى هذا التشابه هنا مأخوذ من قولك: «اشتبه عليَّ الأمر»، أي: أشكل عليَّ معرفة المراد منه، ومنه ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾، أي: أشكل علينا معرفة البقرة التي أمرنا الله بذبحها، هذا التشابه نوع من القرآن يقابل المُحَكَّم السابق.

وقد يَرِدُ الْمُحَكَّمُ بمعنى: الثابت المتفق الصنعة، والمتشابه بمعنى التماثل، قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ أَحْكَمَ أَيْنَهُ﴾، أي: أُثْبِتَ في أماكنها، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ مُتَشَبِهًا﴾، فعلى هذا يعمُّ الإحكام والتشابه القرآن كله.

ومعنى التماثل في القرآن: توافق آياته في تصديق بعضها لبعض كما سبق في الحديث.

وقد يُفسَّرُ الْمُحَكَّمُ بما لم يُنسخ حكمه.

وكذلك ابتغاء التأويل المذموم إنما هو: طلب تأويل المشابه بمجرد الرأي؛ لابتغاء الفتنة، وإفساد العقائد السنية، كما هو شأن أهل البدع والأهواء، لا لأجل العلم والاهتداء، فإنه محمود؛ ولهذا دعا رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما بأن يعلمه الله التأويل.

ومعنى التأويل لغة وشرعاً: معرفة ما يؤول إليه الأمر، ومنه قول يوسف عليه السلام: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ﴾، وكذا قول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾، أي: وجود حقيقة للخبر به في الخارج.

فَصْلٌ

في ذكر النهي عن معارضة السنة بما يفهم من ظاهر القرآن

وَأَنَّ تُرَدَّ السُّنَّةُ الثَّابِتَةُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ السُّنَّةَ هِيَ الْمُبَيِّنَةُ لِلْقُرْآنِ، الْمَوْضِحَةُ لِلْمَرَادِ مِنْهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾.

وفيه أربعة أحاديث:

الأول: عن أبي رافع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا أَعْرِفَنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ وَنَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: مَا أَدْرِي مَا هَذَا، وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللَّهِ لَيْسَ هَذَا فِيهِ»، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ.

الثاني: عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه خطب فقال: «إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَا وَضَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ، فَلَمْ يُنْكِرُوهُ، يُوشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ»، رواه أحمد.

و«يُوشِكُ»: بكسر الشين، مضارع أوشك، بمعنى قرب.

الثالث: عن علي رضي الله عنه قال: «إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّيْهِ يُوَصِّيهَا آؤُ دِينَ﴾، وَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَضَى بِالَّذِينَ قَبْلَ الْوَصِيَّةِ»، رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

قالت العلماء: لما كانت الآية الأولى في حديث أبي بكر رضي الله عنه تقتضي عدم وجوب النهي عن المنكر مطلقاً، نبَّههم أبو بكر أن السُّنَّة قَيَّدت الآية؛ لعدم القدرة على ذلك، وأن بيان السُّنَّة هو مراد الله تعالى.

ولَمَّا كَانَتِ الْآيَةُ الثَّانِيَةَ تَقْتَضِي مَسَاوَاةَ الْوَصِيَّةِ لِلذَّيْنِ أَوْ تَقْدِيمَهَا، بَنَّهُم عَلَى أَنَّ السُّنَّةَ قَضَتْ بِتَأْخِيرِهَا عَنْهُ.

الرابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ستأتاكم عني أحاديث مختلفة، فما جاءكم موافقًا لكتاب الله ولستني فهو مني، وما جاءكم مخالفًا لكتاب الله ولستني فليس مني»، رواه الدار قطني.

وروى الإمام البيهقي عن الإمام الشافعي أنه قال في تفسير هذا الحديث ما معناه: «أن السنة لا تخالف القرآن قط؛ ولهذا جمع بينهما في الحديث، وإنما حذرهم من إدخال أهل الأهواء فيها ما ليس منها».

قال: والقرآن متضمن لجميع السنة، ولكن دلالة على أكثره فيها غموض، فيلزم الناس اتباع ما ثبت عنه ﷺ، ورد ما لم يثبت؛ لأنه ﷺ أعلم بما أنزل الله عليه من خصوص أو عموم، أو ناسخ أو منسوخ» انتهى.

واتفق علماء السنة أن السنة مبينة للقرآن، ولهذا قال مكحول: «القرآن أخرج إلى السنة من السنة إلى القرآن».

وقال يحيى بن أبي كثير: «السُّنَّةُ قاضية على الكتاب، وليس الكتاب قاضياً على السُّنَّةِ».

وقال عمران بن الحصين رضي الله عنه: «لولا بيان السُّنة، من أين كُنَّا نعلم من القرآن أن صلاة

الصبح ركعتان، والمغرب ثلاث، والظهر والعصر والعشاء أربع، وأنَّ وقت كل صلاة في

وقت كذا، وأن الموقف بعرفة، ورمي الجِمار كذا، وأن اليد هل تُقَطَّع مِنَ الْمَنَكِبِ أَوْ مِنْ

المِرْفَقُ أَوْ مِنْ مِفْصَلِ الْكَفِّ؟ وَغَيْرَ ذَلِكَ».

وقال عمر رضي الله عنه: «سَيَأْتِي أَنَاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ، فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ ﷻ»، وروى عن عليٍّ -أيضاً- مثل ذلك.

وقال الأوزاعي: «قال أيوب السخيتاني: إِذَا حَدَّثْتَ الرَّجُلَ بِالسُّنَّةِ فَقَالَ لَكَ: دَعْنَا مِنْ هَذَا، وَحَدَّثْنَا بِالْقُرْآنِ، فاعلم أنه ضالٌّ مُضِلٌّ، قال الأوزاعي: لأن الله تعالى أَلَزَمَ الْعِبَادَ كَافَةً قَبُولَ مَا أَتَى بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾».

فصل

في ذكر النهي عن تفسير القرآن لمجرد الرأي والظن من غير استناد إلى حجة

وفيه خمسة أحاديث:

الأول: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبَقِّ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» رواه البخاري.

الثاني: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ - وَفِي رِوَايَةٍ: بِرَأْيِهِ - فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، والترمذي، وقال: حديث حسن.

الثالث: عن جُنْدَب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ» رواه أبو داود والنسائي والترمذي.

الرابع: عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْقُرْآنَ وَاللَّبْنَ، يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ فَيَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيُجَادِلُونَ النَّاسَ بِهِ، وَيُحِبُّونَ اللَّبْنَ، فَيِيدُونَ، وَيَتْرَكُونَ الْجَمَاعَاتِ وَالْجُمُعَاتِ، وَيَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ، وَيَتْرَكُونَ الصَّلَوَاتِ» رواه أحمد.

و(يبدون): أي: يسكنون البادية.

الخامس: عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ ثَلَاثٌ: رِجَالٌ يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، وَزَلَّةٌ عَالِمٌ يَقْتَدِي بِهَا جَاهِلٌ، وَمَا يُفْتَحُ عَلَيْهِمْ مِنَ الدُّنْيَا» رواه الطبراني، كذا أبو داود في مراسيله، والأصح أنه موقوف.

وسئل أبو بكر رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَفَكَهْمَةٌ وَأَبَآ﴾ ، فقال: «أَيُّ سَمَاءٍ تُظَلِّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقَلِّنِي إِنْ أَنَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ؟».

وعن إبراهيم التيمي قال: «أنكرَ عمر كيف تختلفُ هذه الأمة، ونبيُّها واحدٌ، وملَّتْها واحدة، فسأل ابنَ عباسٍ رضي الله عنهما فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّا أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيما أنزل، وإنه سيكون بعدنا أقوامٌ يقرؤون القرآن ولا يدرون فيما أنزل، فتختلف آراؤهم، فعرفَ عمر قولَه وأعجبَه».

فَصْلٌ

في ذكر أن أهل القرآن أفضل العُمال، وأن الاشتغال به أفضل الأعمال

وفيه عشرة أحاديث:

الأول: عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة؛ ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة؛ ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر» رواه البخاري ومسلم.

و(الأترجة): بضم الهمزة مخففة الجيم، واحده الأترج، وهو ثمر شجر معروف، وقد

تشدد جيمه.

الثاني: عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: سَلُوهُ، لِأَيِّ شَيْءٍ فَعَلَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّهُ» رواه البخاري ومسلم.

الثالث: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ - وَفِي رِوَايَةٍ: خَيْرُكُمْ - مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» رواه البخاري.

الرابع: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

الخامس: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم.

السادس: عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: «مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذَكَرَنِي عَنْ مَسْأَلَتِي أُعْطِيَتهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ وَفُضِّلَ كَلَامُ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفُضِّلَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ» رواه الترمذي.

السابع: عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَقَرَّبَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ - يَعْنِي الْقُرْآنَ -» رواه أحمد والترمذي.

الثامن: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ، كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنَزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا» رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي.

التاسع: عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعْطَى صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَلَكُ يَمِينُهُ وَالْخُلْدُ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكَسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوِّمُ لِهَمَا أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذِهِ؟ فَيُقَالُ لِهَمَا: بِأَخَذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ» رواه أحمد.

العاشر: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ، قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَهْلُ الْقُرْآنِ، هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ» رواه أحمد والنسائي وابن ماجه.

وروى ابن رجب الحنبلي بسنده إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: «رَأَيْتُ رَبَّ الْعِزَّةِ عَزَّ وَجَلَّ فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ مَا أَفْضَلُ مَا تَقَرَّبَ الْمُتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَيْكَ؟ فَقَالَ: كَلَامِي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ بِفَهْمٍ أَوْ بغيرِ فَهْمٍ، قَالَ: بِفَهْمٍ وَبغيرِ فَهْمٍ».

وروى -أيضاً- بسنده إلى المقرئ حمزة الزيات قال: «رَأَيْتُ رَبِّي ﷻ فِي مَنَامِي، فَقَالَ لِي: اقْرَأْ يَا حَمْزَةُ كَمَا عَلَّمْتُكَ؛ فَإِنِّي أَحِبُّ أَهْلَ الْقُرْآنِ، فَقَرَأْتُ، فَلَمَّا أَتَمَمْتُ قِرَاءَتِي، قَالَ لِي: كَذَا قَرَأْتُ».

فَصْلٌ

في ذكر تحسين الصوت بالقرآن، وتأثير القرآن في قلب من أصغى إليه بقلب سليم

وفيه عشرة أحاديث:

الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أَدَنَ اللَّهُ لَشَيْءٍ - أَيِ اسْتَمَعَ - كَأَذْنِهِ لِرَجُلٍ حَسَنَ التَّرَنُّمِ بِالْقُرْآنِ» رواه أحمد والبخاري ومسلم.

الثاني: عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُ تَعَالَى أَشَدُّ أَذْنًا - أَيِ اسْتِمَاعًا - إِلَى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ» رواه أحمد. و(القَيْنَةُ): الْمُغَنِّيَّة.

الثالث: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَبِّتُوا أَصَوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ - وفي رواية -: حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصَوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا» رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

الرابع: عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيضًا، قَالَ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾؛ فَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ».

الخامس: عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ» رواه أحمد، والبخاري، وأبو داود، وابن ماجه.

ومعنى «**يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ**»: يترنم به من غير إفراط في المدّ، وإشباع في الحركات حتى يتولد منه حروف، فذلك حرام، وبهذا فسرهُ جمهور العلماء.

وأما تأويل سفيان بن عيينة أن المراد: من لم يَسْتَغْنِ بالقرآن عن غيره، فقد ردّه الشافعي وغيره من جهة اللغة، ومن جهة المعنى.

السادس: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ، فَقُلْتُ: اقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟ قَالَ: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، فَسَأَلْتُ عَيْنَاهُ» رواه أحمد والبخاري ومسلم.

السابع: عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ أُسَلِّمَ أَتَعَرَّضُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدْتُهُ فِي الْمَسْجِدِ فَقُمْتُ خَلْفَهُ، فَاسْتَفْتَحَ سُورَةَ الْحَاقَّةِ، فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُرْآنِ، ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ شَاعِرٌ، فَقَرَأَ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾، فَقُلْتُ: لَعَلَّهُ كَاهِنٌ، فَقَرَأَ: ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴿٤١﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، قَالَ: فَوَقَعَ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِي كُلِّ مَوْقِعٍ» رواه أحمد.

الثامن: عن جُبَيْر بن مُطْعِم رضي الله عنه قال: «جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بعد بدر في فداءِ رجالٍ من المشركين، ورسولُ الله يُصلي المغرب، يقرأُ بالطور، فكأنَّما صُدِعَ عَنْ قَلْبِي حِينَ سَمِعْتُ الْقُرْآنَ» رواه أحمد.

التاسع: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: «كَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه رَجُلًا بَكَاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنَهُ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ» رواه البخاري.

العاشر: عَنْهَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ: «مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ...» الْحَدِيثُ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

عَنْ قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الصَّوْتِ».

وَعَنْ نَافِعٍ قَالَ: مَا قَرَأَ ابْنُ عُمَرَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلِنْ تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ إِلَّا بَكَى، ثُمَّ يَقُولُ: «إِنَّ هَذَا لِأَحْصَاءٍ شَدِيدٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ.

وعنه قال: قرأ ابن عمر في صلاته ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، فلما بلغ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، بكى حتى سقط، ولم يقدر على إتمام السورة.

وعن يحيى بن أيوب: «إن فتى كان عمر يعجب به، فقرأ ذلك الفتى ليلة آية فشقق شهقة خرجت فيها نفسه، فلما دُفن وقف عمر على قبره فناداه: يا فلان ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾، فأجابه الفتى من داخل القبر مرتين أو ثلاثاً: قد أعطانيهما ربي يا عمر»، رواه ابن أبي الدنيا.

والله سبحانه أعلم، وصلى الله على سيّدنا محمد، وآله وصحبه وسلم، صلاة دائمة إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

